

## مملكة الأوراس بين نهاية الاحتلال الوندالي وبداية الفتح الإسلامي

~~~~~فاضل لخضر\*

شهدت بلاد المغرب القديم منذ مطلع القرن الرابع الميلادي ظهور العديد من الممالك المحلية المستقلة على أنقاض الاحتلال الروماني المتداعي. ثم ما لبثت أن توسعت على حساب المحتل الوندالي، وقارعت البيزنطيين طيلة احتلالهم لهذه البلاد. وتعد مملكة الأوراس أقوى هذه الكيانات المورية المستقلة وأطولها عهدا، حيث استمر وجودها إلى أن وطئت أقدام الفاتحين المسلمين أرضها.

(1) أصول مملكة الأوراس :

تعود نشأة هذه المملكة إلى نهاية القرن الخامس ، حسبما أشار إلى ذلك المؤرخ البيزنطي بروكبيوس من أن الملك الوندالي جيزريك "Geizeric" (428-477) تمكن من احتواء خطر القبائل المورية ، ومن بينها القبائل الأوراسية عن طريق إشراكها في غزواته وحروبه ، غير أن خلفاءه لم يكونوا في مثل حنكته السياسية فواجهوا صعوبة في السيطرة عليها ، بحيث تمكنت قبائل الأوراس من الاستقلال عن الوندال قبيل وفاة الملك هنريك "Huneric" (477-484) بعد أن عجزوا عن إخضاع هذه المنطقة الجبلية بسبب وعورتها ومقاومة سكانها لهم.(1)

يتجلى من نص بروكبيوس أن هذه المملكة ظهرت منذ سنة 484 على الأقل و أن المنطقة التي تربعت عليها خرجت عن سيطرة الوندال منذ هذه السنة، مع أننا لا نعلم شيئا عنها بعد هذا التاريخ وحتى سنة 535 حين ظهر إبيداس أحد ملوكها.

غير أنني من جهتي لا أميل إلى هذا الطرح الذي يجعل من سنة 484 تاريخا لنشأة مملكة الأوراس بل هي أقدم من ذلك لعدة اعتبارات منها أن الرومان أنفسهم فقدوا سيطرتهم على جبال الأوراس منذ أواخر العهد الإمبراطوري الثاني رغم سلسلة التحصينات القوية والكثيفة التي أحاطوها بها من الشمال و الجنوب، ولم تعد لهم أية سيطرة إلا على المدن الرومانية الواقعة شماليها التي انسحبوا إليها وحصنوها وجعلوا منها قواعد لصدهجمات قبائل الأوراس. (2)

كان الرومان أقدر عسكريا من الوندال على احتواء هذه المنطقة الجبلية بحكم تحصيناتهم، كحصون تيمقاد وعين زانة وغيرها، وعدديا بوجود الفيلق الثالث الأوغسطي بتازولت على مشارف الأوراس الذي كان من ضمن مهامه مراقبة الجنوب النوميدي. أكثر من ذلك تمكنوا من اختراق هذه الكتلة بواسطة مد شبكة من الطرق عبر المخانق والفجاج مثل ذلك الطريق الذي شقه الفيلق السادس

\* أستاذ مساعد، قسم التاريخ، جامعة معسكر.

الحديدي سنة 145 عبر فج تيغانيمين وصلت شمالها بجنوبها كما تدل عليه نقيشة عشر عليها بعين المكان (3).

وقد احتفظت لنا الوثائق الأثرية بدلائل انسحاب عسكري روماني من هذه المناطق منذ مطلع القرن الرابع وتحديدًا في عهد الإمبراطور ديوقليديانوس الذي على غرار المناطق الجنوبية الأخرى من المقاطعات الإفريقية، سحب الفرق العسكرية المنتشرة حول جبال الأوراس وعوضها بجنود الحدود Limitanei بسبب عدم فاعليتها العسكرية في مواجهة القبائل الجبلية القاطنة بها، إلى جانب شح الموارد المالية اللازمة للمحافظة على هذا التواجد بشكل دائم وفعال. (4)

لقد كان من الطبيعي جدا أن يعقب هذا الفراغ المفاجئ الذي خلفه اختفاء سلطة روما من هذه النواحي و التي كانت أصلا مضعضة، أن تخلقها سلطة أخرى كانت موازية لها وفي صراع معها ألا وهي السلطة القبلية التي كانت الوحيدة التي تخضع لها وتحتكم إليها القبائل المورية الضاربة في هذه النواحي.

لا يجب أن يغيب عن أذهاننا كذلك معطى تاريخي جد هام تعضده المستندات التاريخية، وهو أن مملكة الأوراس لم تكن الوحيدة التي نشأت خلال هذه الفترة وفي مثل هذه الظروف ، بل إن هناك عددا من الممالك المحلية المستقلة لم تنتظر زوال السلطة الرومانية حتى تتشكل ، إذ أن بعضها بدأ في الظهور في المناطق المحاذية للمقاطعات الرومانية والخارجة عن سلطتها . ثم توسعت داخل الأراضي الرومانية نفسها واستولت عليها تدريجيا طيلة القرن الرابع و مطلع القرن الخامس ،حتى إذا جاء الوندال وجدوها تسيطر على جزء كبير مما كان سابقا يؤلف الممتلكات الرومانية ببلاد المغرب. وقد حاولوا جاهدين إزاحتها عنها بالقوة العسكرية مما أدى إلى الصدام المسلح بين الطرفين كانت نتائجه كارثية على المحتلين الوندال .

تعد مملكة لجدار التي ظهرت بموريطانيا القيصرية في النصف الثاني من القرن الرابع و امتدت حتى القرن السابع الميلادي (5)، ومملكة ألتافا Altava التي برزت في منتصف القرن الخامس الميلادي بغرب القيصرية واستمرت إلى القرن السابع الميلادي كذلك (6). إلى جانب مملكة الحضنة بموريطانيا السطيفية التي ظهرت في النصف الأول من القرن الخامس حسب نقيشة أريس (7)، ومملكة قفصة التي هادنت الوندال ومملكة أنطلاس التي شنت الغارات عليهم و افتكت عدة مدن ومناطق من أيديهم بالمزاق (منطقة الهضاب والجنوب التونسي) الراجعة نشأتهما إلى نهاية القرن الخامس ومطلع السادس (8)، من النماذج الحية عن نجاح العناصر المورية في تأسيس ممالك قوية على حساب الرومان ثم الوندال.

لذا فأنا أميل بناء على ما تقدم إلى الاعتقاد بأن نوازع الاستقلال لدى قبائل الأوراس الجبلية وبداية تشكيل نواة المملكة بدأت في الظهور مباشرة بعد اختفاء قوة الردع العسكري الروماني التي كانت تمنع تكتل هذه القبائل في اتحادات قبلية لتوحيد الجهد العسكري ضد الرومان ، و بالتالي حلت الساحة لهذه الأخيرة لتنسيق تحركاتها وتنظيم صفوفها وتشكيل كيان سياسي موحد تنتظم فيه كل الوحدات القبلية المنتشرة في أرجاء هذه الكتلة الجبلية بحيث تخضع لسلطة قبلية واحدة.

2. / علاقتها بالوندال:

لقد ترتب عن انتصار الوندال على الرومان توقيع اتفاقية عنابة Hippo Regius الأولى سنة 435 نصت على احتفاظ الوندال بأجزاء من المقاطعات الرومانية ببلاد المغرب منها القسم الشمالي من نوميديا . وفي سنة 442 عقدت اتفاقية ثانية بين الطرفين عقب توسعات جديدة للملك جيزريك، أقر فيها الرومان بصورة نهائية باحتلاله وضمه للبروقنصلية والمزاق وكل نوميديا. (9)

وكما هو ملاحظ فإن منطقة جبال الأوراس التي كانت خارج حدود المملكة الوندالية في الاتفاقية الأولى بحكم وقوعها بالقسم الجنوبي من نوميديا ، صارت من خلال ما نصت عليه الاتفاقية الثانية جزءا منها. هذا من الناحية النظرية لكن عمليا لم يكن ممكنا للوندال احتلال هذه الجبال فعليا ولو أرادوا .

فقد بينا سلفا أن جبال الأوراس ظهرت بها سلطة مستقلة منذ وقت مبكر وقبل قدوم الوندال بوقت طويل جدا. وحتى وإن لم تتحدث عنها المصادر فإن ذلك ليس قادحا في وجودها، فبروكوبيوس نفسه لم يخض في هذه المسألة لأن هذا أمرا لم يكن يهمله كثيرا، فجل اهتمامه كان منصبا على القوى السياسية والملوك الفاعلين في المنطقة الذي على البيزنطيين أن يحسبوا لهم حسابا في المستقبل عند اتخاذ أية مبادرة لتثبيت الاحتلال أو توسيعه . ويكفي أن نقرأ كتابه من أوله للتحقق من هذه النقطة.

لقد بلغت المملكة الوندالية أوج قوتها واتساعها في عهد الملك جيزريك لاسيما بعد أن أغار على روما عاصمة الإمبراطورية ونهبها سنة 455، فقد صار الحاكم المطلق لإفريقيا بلا منازع. ومع ذلك فقد كان أبعد ما يكون عن ضم كل ما كان للرومان تحت سلطته، إذ لم يحكم فعليا سوى مقاطعتي البروقنصلية و بيزاكيوم (المزاق) والشريط الساحلي من طرابلس وجزء ضئيل من شمال نوميديا يتركز حول عنابة و ما جاورها وبعض المراكز على الساحل الموريطاني — التي لسنا متيقنين تماما من الوجود الوندالي بها —، وهي تشكل مجتمعة مساحة لا تتجاوز مائة ألف كيلومتر مربع. (10)

ولم يحاول جيزريك فيما يظهر تغيير هذا الواقع لتفطنه إلى استحالتة بسبب افتقاره إلى القوة العسكرية اللازمة لضم الأوراس من جديد، فأبقى الوضع على ما هو عليه واكتفى بعلاقات سلم وتحالف مع تلك القوى الكامنة فيها وأشركها في توسعته وحروبه ليأمن غائلتها.

ويبدو أنه جرت في عهد خليفته محاولات وندالية جادة للتوسع في منطقة الأوراس أو توجيه ضربات وقائية من أجل تأمين الحد الجنوبي الغربي للمملكة ضد غارات القبائل الأوراسية في عهد هنريك ، غير أن ذلك انقلب عليه ومني بهزائم شديدة على يد هذه المملكة التي كانت بالمرصاد لأية تحركات تمس سيادتها (11). وأنا أعتقد أن المؤرخ البيزنطي بروكبيوس كان يشير إلى هذه الأحداث حين تحدث عن انفصال الأوراس عن الحكم الوندالي. (12)

إن ما نستخلصه من كتابات العصر أنه لم تجر أية محاولات استرداد للأوراس بعد هنريك ، ويمكن التأكيد أن حالة من العداء ظلت تطبع العلاقة بين هذه المملكة والوندال الذين يئسوا من بسط سيطرتهم عليها فانصرفوا إلى تدعيم ملكهم في مناطق أخرى ، حيث لم يوفقوا كثيرا في مسعاهم إذ توالى عليهم الهزائم على يد أنطلاس ملك المزاق (13)، وكاباوون ملك مملكة طرابلس الذي ألحق بهم خسائر فادحة في عهد ملكهم تراساموند. (14)

3/ حدودها :

امتدت هذه المملكة من جبال النمامشة شرقا حيث مملكة ماسوناس ابن ميفانياس إلى سهول وجبال الحضنة غربا. ومن المنحدرات الشمالية لجبال الأوراس التي كانت تحت سيطرة رعايا الملك إيبدا (15) إلى المناطق الممتدة جنوب منحدراته الجنوبية حول مدينة بادس وحتى حدود المزاك حيث تنتشر قبائل بدوية خضعت لسلطته. ثم توسعت غربا قبل سنة 533 لتشمل بالاتفاق مع ماستيناس «Mastinas» ملك موريطانيا القيصرية الجزء الشرقي من مملكة الحضنة التابعة للملك أورتياس «Orthaïas» المتاخم للأوراس ، ثم امتدت شمالا لتضم ومناطق ومدن بشمال نوميديا خاضعة للمحتلين البيزنطيين مثل عين البرج وهنشير فج الدرياس بين سنتي 533 و 534 (16)، قبل أن يجبرها البيزنطيون على الانحسار في سنة 535 ولتقتصر حدودها من جديد على جبال الأوراس. (17)

#### 4/ نظامها السياسي:

يعتبر إيبدا أول ملك على جبال الأوراس أشار إليه كل من بروكبيوس وكوريبيوس منذ سنة 533 (18). غير أنه بالتأكيد لم يكن أول من تولى عرشها، وبركوبيوس وكوريبيوس تكلموا بلسان الحال حينما تحدثا عنه دون الإشارة إلى من سبقه من الملوك ربما لعدم حيازتهما لمعلومات عنه. وقد أشار أحدهما إلى والد الملك ماسوناس حينما استدعت الحاجة إلى ذلك. (19)

تشكلت مملكة الأوراس من اتحاد قبلي ضم كل القبائل الأوراسية (20)، غير أن النصوص القديمة اكتفت بذكر قبيلة واحدة وهي باسكايب (Bascaeï) التي يرجح أنها كانت القبيلة الأصلية للملك إيبدا (21). فلقد كان لكل قبيلة ملك أو رئيس يتولى زعامتها وغالبا ما يؤلف عدد منها اتحادا قبليا خصوصا في زمن الحروب والثورات يخضع لسلطة ملك أو رئيس واحد. هذا الملك بطبيعة الحال هو زعيم أقوى قبائل الاتحاد وأكثرها عددا وسطوة أو أعرقها تاريخا ومجدا، وتبقى كذلك حتى تفقد أسباب الزعامة والريادة بموت رئيسها أو فقدها لتفوقها العسكري على القبائل الأخرى. (22)

وقد سجل لنا الكتاب القدامى نماذج عن الممالك الأخرى المعاصرة لمملكة الأوراس التي قام نظامها السياسي على نفس المنوال مثل ما ذكره كوريبيوس عن مملكة طرابلس التي كان على رأسها الملك بيرنانا Iernal رئيس قبيلة لواتة Levathes أقوى قبائل مقاطعة طرابلس. وعند هزيمته أمام البيزنطيين ومقتله سنة 546 فقدت لواتة مكانتها كقبيلة حاكمة على الاتحاد لصالح قبيلتي إيفوراكييس وميلانقوس Ifuraces-Melangus التي كانتا تليانها في المكانة والأهمية، وصار زعيمها ملكا لمملكة طرابلس. (23)

أما عن انتقال الحكم داخل مملكة الأوراس حين يستقر الملك لقبيلة واحدة لمدة طويلة فلا يعدو أن يكون وراثيا مثلما كان سائدا في الممالك الأخرى التي عاصرتها ويكون إيبدا قد ورث الملك عن أبيه ، مثلما ورث جاره وصهره ماسوناس العرش عن أبيه ميفانياس بعد أن قتله إيبدا الذي كان صهره أيضا ، وعلى غرار وراثية أنطلاس ملك المزاك للسلطة عن أبيه غنقان إثر وفاته سنة 517 وعمره آنذاك سبعة عشر سنة. (24)

## 5/ نشاطها في نهاية القرن الخامس:

تذكر المصادر أن قبائل هذه المملكة التي امتدت غاراتها شمالي جبال الأوراس حتى مشارف المنطقة التلية في نهاية القرن الخامس هي المسؤولة عن تدمير المدن الرومانية بالمنطقة مثل عين زانة وتيمقاد<sup>25</sup>. وذلك ما أكدته المعطيات الأثرية ، فعلاوة على المدينتين السالفتي الذكر التي خربها موريو الأوراس في هذه الفترة (26)، تعرضت تبسة ، خميسة ، خنشلة ، تازولت ، قصر باغاي ، وعين البرج لنفس المصير<sup>(27)</sup>. غير أن كان بعض الباحثين لا يجعل مملكة الأوراس المسؤولة الوحيدة عن هذا التخريب، بل يضيف إليه أسبابا اقتصادية تتمثل في غياب قوة الردع العسكري الرومانية من هذه المدن و التي كانت توفر لها غطاءا أمنيا هيا لأزدهار الزراعة بها وشجع على الاستقرار. زد على ذلك استيلاء الوندال على أراضي الملاك الرومان بعد ذلك وإهمالهم لتزويد تلك المدن بما تحتاجه من المنتجات الزراعية ،علاوة على ذلك أضحت الوظائف البلدية شاغرة نظرا للنفقات المالية التي تتطلبها وافتقار معظم الملاك الذين كانوا يتحملون أعبائها مما أدى إلى تدهور الحياة في هذه المدن، وتخلي المزارعين عن خدمة الأرض بسبب سوء الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والأمنية. (28)

يضاف إلى ذلك كله اختفاء النظم و الهياكل السياسية والإدارية الرومانية التي كانت تؤطر الحياة العامة في هذه المدن وتسمح باستمرارها، و الأهم سلسلة الثورات التي اندلعت بادئا في الأرياف والقرى ثم امتدت إلى المدن ضد النظام الاستغلالي الذي رزحت تحته طويلا جماهير السكان المحليين لفائدة المعمرين الرومان والطبقات الأرستقراطية الغنية التي كانت ماسكة بزمام السلطة في المدن. فهذه الأحداث حرصت السكان الجبليين على النزول من معاقلهم والاستيلاء على المدن والحصون التي كانت رمزا للاحتلال الروماني البغيض، و سرعت من عملية الاسترداد الموري للمناطق المحتلة والتي انطلقت في المقاطعات الأخرى قرنا قبل ذلك. (29)

مما ينسب إلى ملوك هذه المملكة إنشاء نظام للري في السهول الخصبة الممتدة عند السفوح الشمالية لجبال الأوراس قرب تازولت ، تيمقاد، وقصر باغاي تمثل في قنوات سقي تحتية تحترق الأراضي الزراعية لترويتها (30). كان هذا النظام معقدا ومسيرا وفق أساليب وقوانين تطلبت وجود هيئة سياسية حاكمة تولت الإشراف عليه. (31)

## 6/ الصراع بين مملكة الأوراس والبيزنطيين:

### الدور الأول:

أخذ البيزنطيون بعد القضاء على مقاومة قبائل المزاك وضم المقاطعة إليهم يستعدون لغزو جنوب نوميديا واحتلالها بعد أن سيطروا من قبل على قسمها الشمالي ومدنه الرئيسية أثناء حملتهم على الوندال<sup>32</sup>. وكان هذا التوسع البيزنطي جزءا من عملية الاحتلال الموسع التي خططوا لها من قبل ، علاوة على ذلك وضع القائد صولومون « Solomon » نصب عينيه أمران مهمان أولهما هو أن الوضع العسكري لن يستتب نهائيا بالمزاك إذا ما ظلت نوميديا قاعدة خلفية للشوار الموريين الذين لجأ قادهم كوتزيناس « Cutzinas » واسديلازاس « Esdilas » إليها إثر هزيمتهم. فاستضافهم ابيداس ملك الأوراس وأسكنهم الأراضي الممتدة عند سفوحها الشمالية قرب تيمقاد وتازولت ، وهذا اللجوء السياسي فسره البيزنطيون كتحد لهم وإعلانا غير مباشر للحرب عليهم. (33)

أما الثاني فهو أنهم لمسوا عن قرب قوة مملكة الأوراس العسكرية التي يمثل الفرسان قوتها الضاربة إذ احتاح إيبداش بثلاثين ألف فارس منهم سهول نوميديا، فنهبها و أسر عددا كبيرا من السكان ووصلت غاراته حتى مشارف التل شمالا. ولم تستطع الفرق المرابطة بالمراكز العسكرية البيزنطية الموجودة بالمقاطعة مقاومتها، إلا إذا استثنينا محاولة القائد ألتياس « Altias » المسؤول عن حصن هنشير فجّ درياس (AD Centenarium) الذي نجح في اعتراض الجيش الموري قرب عين البرج (Tigisis) الواقعة غرب هنشير فجّ درياس وإلحاق الهزيمة بالموريين و افتكاك الأسرى والغنائم منهم، رغم أن فرقة الفرسان الهون التي كان يقودها ألتياس « Altias » لم تتجاوز سبعين فارسا، وفي هذا مبالغة واضحة من بروكبيوس « Procopius » الذي يحاول دائما تضخيم قوة الجيش البيزنطي و التعظيم من شأنه أمام أعدائه الموريين. (34)

فإخضاعه للشمال النوميدي حينما كانوا منشغلين بقمع ثورتي طرابلس والمزاق فتح أعينهم على حقيقة الوضع وهو أنهم ما لم يقهروا هذا الملك ويسيظروا على معقله بجبال الأوراس فإن احتلالهم لنوميديا و حتى المقاطعات المجاورة سيظل مهددا بصورة دائمة ، كما أنه سيعطل مشاريعهم التوسعية التي وضعوها لإلحاق موريطانيا السطيفية والقيصرية الواقعتان إلى الغرب من مملكته ، ولذا كانت المواجهة بين الطرفين حتمية.

شكلت توسعات الملك إيبداش « Iabdas » خطورة على مناطق الاحتلال البيزنطي بنوميديا، وكان على صولومون « Solomon » التدخل ضدّه ليقضي على هذا الخطر، لذا استغل العداء الموجود بين الملك إيبداش « Iabdas » و الملكين الموريين ماسوناس « Massonas » الذي سعى للانتقام لمقتل والده ميفانياس على يد صهره إيبداش « Iabdas »، و أورتياس « Orthaïas » للردّ على محاولة هذا الأخيـــــر التوسع على حسابيه وطرده من مملكته، فاستمالهما صولومون « Solomon » إلى جانبه، و لاشك أن الخطر المشترك الذي كان يشكله إيبداش « Iabdas » عليهم هو الذي دفعهم للتحالف ضدّه . و تمكن صولومون « Solomon » بهذا التحالف من تقوية جيشه بانضمام عدد كبير من المقاتلين الموريين إلى صفوفه (35)، و بدأ حملته في نهاية سنة 535 حيث عسكر بجيشه قرب وادي بوروغال (Abigas). (36)

تفادى إيبداش « Iabdas » خوض المعركة في منطقة سهلية، و قرر استدراج الجيش البيزنطي في حرب عصابات بجبال الأوراس، فقرّر صولومون « Solomon » اقتحام هذه الجبال و مطاردة عدوّه لكي يجنب جيشه عناء محاصرتها خاصة و أنه ليس معتادا على هذا النوع من الحروب، أضف إلى ذلك أن مؤن الجيش قليلة و سريعة النفاد، فاقتحم البيزنطيون جبال الأوراس من الجهة الشرقية وظلوا طيلة ستة أيام يلاحقون الموريين بين المسالك الجبلية الوعرة، في حين اكتفى هؤلاء بمناوشتهم وإرهاقهم (37)، حتى وصلوا إلى قلعة تقع على الضفة اليمنى للوادي الأبيض 38، حيث أخبره حلفائه الموريون أن إيبداش « Iabdas » معسكر فيها فمكث ثلاثة أيام ينتظر لقائه. (39)

ازداد موقف البيزنطيين حرجا بنفاذ مؤنهم، كما أرجع صولومون « Solomon » إفلات إيبداش « Iabdas » من الوقوع بيده إلى معرفة هذا الأخير المسبقة بكل تحركات الجيش البيزنطي،

و شك في تأمره مع المؤريين المتحالفين معه، هؤلاء الذين يعرفون المسالك الجبلية جيدا عوض إرشاده لمعسكر إيبداس « Iabdas »، سلكوا به طرقا وعرة بغرض تضليله وإرهاق جيشه، كما كانوا يملغون إيبداس « Iabdas » بتحركات صولومون « Solomon » وينقلون إليه أخبار التمرد والعصيان الذي انتشر بين الجنود البيزنطيين، وخشية تأمر المؤريين سواء الحلفاء أو الأعداء ضدّه في تلك الظروف الحرجة، زيادة على انتشار الجوع والإرهاق بين جنوده وانهمار معنوياتهم، قرّر صولومون « Solomon » الانسحاب بسرعة نحو السّهول الممتدة عند سفوح الجبال وإقامة معسكره فيها. (40)

فشلت حملة صولومون « Solomon » الأولى على جبال الأوراس في القضاء على القبائل الشائرة على البيزنطيين، وباقترب فصل الشتاء انسحب من مقاطعة نوميديا بعد أن ترك جزءا من قواته فيها لحماية السكان من هجمات قبائل الأوراس، وعاد إلى قرطاجة بالقسم الأكبر من قواته حيث بدأ يعدّ حملة جديدة على جبال الأوراس في فصلّ الربيع المقبل بقوات كبيرة وبدون حلفاء مؤريين إن أمكن. (41)

أدرك صولومون « Solomon » أن إخضاع القبائل المؤرية في تلك الجبال المحصنة لا يتأتى عن طريق كتائب متنقلة من الجيش، بل يستلزم ذلك إقامة حصّون ومراكز عسكرية ثابتة قريبة منها، يستخدمها الجيش البيزنطي كقواعد لعملياته ضدّ المؤريين، أو لمنعهم من مغادرة الجبل واكتساح السهول النوميدية الخصبة، فأبقى فرقا من الجيش متمركزة عند سفوحه الشمالية، ثم أتبعها ببناء عدد من المدن المحصنة والقلاع والمراكز العسكرية ترابط فيها حاميات عسكرية بصفة دائمة، بحيث كان خط هذه القلاع موازيا للطريق الروماني الرئيسي الرابط بين قرطاجة (Karthago) و قسنطينة (Cirta) على امتداد الحدود الجنوبية لنوميديا. (42)

كانت تبسة (Théveste) من أهم المدّن المحصنة التي بنيت إثر فشل الحملة في القضاء على قبائل الأوراس المؤرية الشائرة، بغرض مراقبة الجهة الشمالية الشرقية لمملكة الأوراس 43، إذ كانت هذه المدينة قد تعرضت لتخريب كامل من قبل رعايا هذه الأخيرة في نهاية القرن الخامس 44، ثم في نهاية سنة 535 و مطلع سنة 536. (45).

و قد وفرت مدينة تبسة (Théveste) لسكانها وللمزارعين المحيطين بها الحماية والأمن وقت الحروب، كما أنها احتلت موقعها استراتيجيا جدّ هام، فهي تحمي إفريقية البروقنصلية من أي خطر يأتي من نوميديا أو المزاك و عدت قاعدة العمليات ضدّ سكان جبال الأوراس. (46)

كانت قلعة مداوروش (Madauros) التي بنيت تحت إشراف القائد صولومون « Solomon » خلال حكم جوستينيانوس « Justinianus » حوالي سنة 535 حسبما جاء في النقيشة الموجودة في أعلى البوابة الرئيسية للقلعة، من التحصينات التي أحبر إيبداس أعداءه على إنشائها لحماية السّهول الواقعة شمال جبال الأوراس من خطر غاراته، ولكي تشكل مع مدينة تبسة (Théveste) حاجزا ضدّ أي تسلل ممكن للقبائل المتسللة إلى المزاك و القادمة من الصحراء عبر المسالك الجبلية التي تخترق جبال الأوراس. (47)

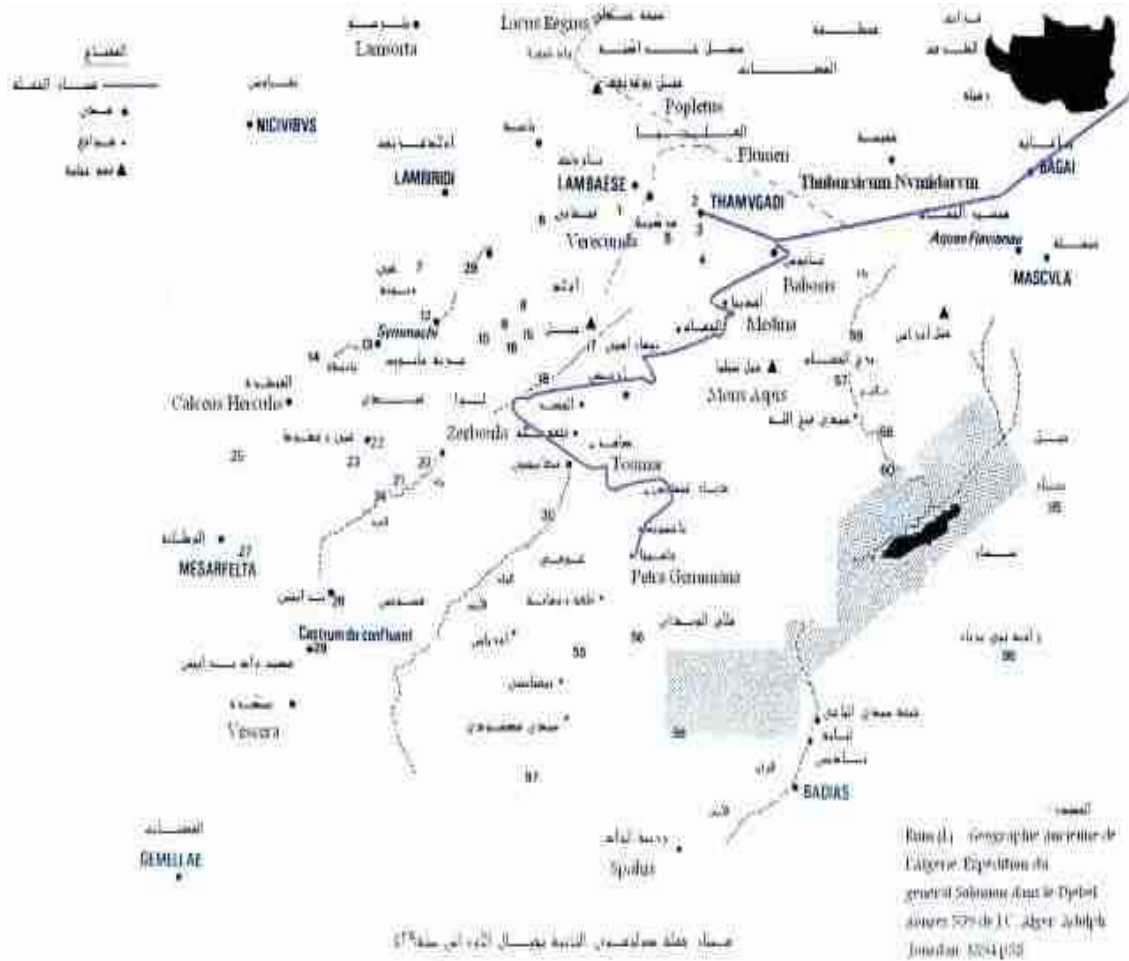


مملكة الأوراس، والقضاء نهائيا على الخطر الذي شكلته قبائلها على المناطق الزراعية شمال هذه الجبال، وتوسيع الممتلكات البيزنطية حتى الحدود التي وصلتها خلال الاحتلال الروماني وقيل الغزو الوندالي والاسترداد الموري. (52)

قرر صولومون « Solomon » اقتحام جبال الأوراس من الجهة الشرقية، فأرسل القائد غونثاريس « Guntharis » على رأس فرقة استطلاعية كمقدمة لجيشه عسكري وسط سهل قرب قصر باغاي ( Bagaï ) على وادي بوروغال ( Abigas ) (53)، هذه المدينة التي ازدهرت خلال الاحتلال الروماني كانت مهجورة وعبارة عن خراب عندما وصل إليها البيزنطيون (54). فلم ينتظر الموريون كثيرا، إذ هاجموا الكتيبة البيزنطية ولم يستطع غونثاريس « Guntharis » صد هجومهم نظرا لتفوقهم العددي، فانسحب نحو معسكره وتحصن فيه وسط الحصار الذي ضربه الموريون حوله، أثناء ذلك وصل صولومون « Solomon » بكل قواته إلى قصر باغاي ( Bagaï ) وعندما علم بوضعية قائده أرسل إليه دعما لفك الحصار عنه، عندها سد الموريون قنوات السقي الأرضية المتفرعة عن وادي بوروغال ( Abigas ) الذي يخترق سهل باغاي ( Bagaï ) وحولوها نحو معسكر البيزنطيين، فتشكل حولهم مستنقع أعاق حركة الجنود وجعلهم عاجزين عن المناورة أو الدفاع في حالة هجوم الموريين. (55)

سارع صولومون « Solomon » لإنقاذ جيشه، وعندما اقترب من الموريين انسحب هؤلاء وأقاموا معسكرهم عند سفوح جبال الأوراس على مرتفع بابوس ( Babosis ) (56) الواقع على بعد ست كليومترات شرق تيمقاد ( Thamugadi )؛ ولقد اختار إيبداس « Iabdas » هذا الموقع حتى يكون قريبا من هذه المدينة التي توفر لجيشه تمويना أساسيا من المحاصيل الزراعية، ولأن ناحيته الجنوبية تعتبر المدخل الوحيد لجبال الأوراس من جهتها الشمالية، كما تعتبر المخرج الوحيد في حالة انهزامه أمام البيزنطيين. (57)

انهزم إيبداس « Iabdas » في أول معركة ضد البيزنطيين و تراجع إلى داخل الجبال، و حاول استدراجهم داخل المسالك الوعرة و استغلال العقبات الطبيعية لإرهاقهم و إجبارهم على التراجع، ذلك أنه سرح عددا كبيرا من مقاتليه التحقوا بموريطانيا السطيفية و جنوب الأوراس، ولم يبق معه سوى عشرون ألف مقاتل تحصن بهم بقصر أو قلعة بلالة ( Zerboulé ) منتظرا جيش صولومون « Solomon »، غير أن هذا الأخير لم يقع في نفس الخطأ السابق بل عاد إلى تيمقاد ( Thamugadi ) حيث جمع المؤن الضرورية لجيشه ثم أحرق بقية المحاصيل ليحرم إيبداس « Iabdas » منها و انطلق لملاحقته داخل جبال الأوراس. (58)



التف صولومون « Solomon » حول منحدرات جبل بوعمرس الواقعة جنوب موقع بابوس (Babosis)، ثم توقف في موقع امدينا الذي يحتمل وضعية استراتيجية هامة عند مدخل جبال الأوراس و يعد قاعدة لكل العمليات العسكرية داخلها، و زحف بعد ذلك نحو قصر بلالة متخذاً وجهة جنوبية غربية موازية مع الوادي الأبيض(59). أخلى إبيداس « Iabdas » أثناء ذلك قصر بلالة (Zerboulé) بعد أن ترك فيه حامية للدفاع عنه الحيلولة دون استيلاء البيزنطيين عليه، و ذهب ليتحصن بقمة صامر (Toumar) الحصينة.(60)

هاجم الجيش البيزنطي قصر بلالة (Zerboulé)، و لم يتمكن الموريون المدافعون عن الحصن من مقاومة هجومه(61)، حيث انهارت مقاومتهم بعد ثلاثة أيام من الصمود خاصة بعد مقتل رؤسائهم، فانسحبوا من الحصن في الوقت الذي كان صولومون « Solomon » يستعد فيه لرفع الحصار، لأنه كان يفضل مهاجمة الجزء الأكبر من الجيش الموري بقيادة إبيداس « Iabdas » في صامر (Toumar) طالما أن الموريين المتحصنين في حصن قصر بلالة (Zerboulé) لا يشكلون خطراً على مؤخره

جيشه(62)، و يذكر رين « L. Rinn » أنه وجدت العديد من النصب الجنائزية البيزنطية التي خلدت ذكرى الجنود البيزنطيين الذين قتلوا أثناء حصار و اقتحام الحصن.(63)

واصل صولومون « Solomon » ملاحقة إيبدا « Iabdas » وأقام معسكره أمام حصن صامر (Toumar) الذي لجأ إليه، وقد عانى جيش صولومون « Solomon » الأمرين أثناء الحصار بسبب صعوبة المسالك و نقص الماء مما أدى إلى ظهور التمرد بين جنوده فقرر اقتحام الحصن(64)، بحيث هاجم هضبة صامر (Toumar) الصخرية المحصورة بين خنقة سيدي الناجي و الوادي الأبيض، ولم يصمد إيبدا « Iabdas » أمام هجومه بحيث انسحب إلى موريطانيا السطيفية بعد أن أصيب بجروح بليغة و فقد معظم مقاتليه.(65)

أهملت مقاومة قبائل الأوراس بعد هزيمة إيبدا « Iabdas » و فراره و تحقق الهدف الأول من الحملة، إذ واصل البيزنطيون إخضاع ما تبقى من المراكز و المواقع المحصنة بجمال الأوراس كمرتفع جامينا (Petra Geminianus) قرب وادي مسرور جنوب غرب الأوراس الذي بني على قمته برج احتوى على كنوز إيبدا « Iabdas » التي استولى عليها صولومون « Solomon » وموّن بواسطتها بناء أسوار عدد من المدن،(66) كما أقام عدة حصون و مراكز عسكرية بالأماكن الرئيسية المتحكممة في المسالك الجبلية لمنع وقوع جمال الأوراس من جديد تحت سلطة إيبدا « Iabdas »، وترك فيها حاميات عسكرية(67). و مما تجدر الإشارة إليه أن آثار التحصينات البيزنطية التي ما تزال قائمة داخل جمال الأوراس تشهد على خطورة قبائله على مناطق الاحتلال البيزنطي بنوميديا.(68)

واصل صولومون « Solomon » بعد إخضاع نوميديا توسعاته غرب جمال الأوراس بالزاب والخصنة و بلزمة حيث مملكة أورتياس (69) « Orthaïas »، وذلك بعد أن تخلّى هذا الأخير عن تحالفه مع البيزنطيين و دخل في مواجهة ضدهم بعد أن تحالف مع إيبدا من منطلق توحيد القوى لمواجهة العدو الأجنبي وتجاوز الخلافات الشخصية والمصلحية. ثم استقبل فلول جيشه الذين طردهم صولومون « Solomon » من الأوراس، في حين أنه كان عليه طردهم بحكم التحالف الذي يجمعه بالبيزنطيين.(70)

في سنة 544 اندلعت ثورة جديدة ضد الحكم البيزنطي بمقاطعتي المزاق و طرابلس بسبب الاستبداد البيزنطي، وحين حاول القائد صولومون إخمادها قتل في إحدى معاركها. ثم مالبت لهيب الثورة أن امتد إلى نوميديا ومعاقبتها الجبلية لاسيما الأوراس رغم محاولات البيزنطيين الفاشلة احتوائها.(71)

كان إيبدا « Iabdas » الذي التجأ إلى مملكة موريطانيا عقب هزيمته سنة 539 يراقب تطور الأحداث السياسية بنوميديا والمناطق الثورية، ولم يكن يريد العودة إلى معقله بجمال الأوراس طالما ظل البيزنطيون يتحكمون في الوضع العسكري انطلاقاً من قلاعهم وحصونهم ومراكزهم العسكرية التي أقاموها حولها، وعليه كان ينتظر الفرصة المناسبة لإعلان الثورة من جديد ضدهم وإزاحتهم ما أمكن عن نوميديا وإعادة بعث مملكته، والملحوظ إن لزم الأمر من أجل ذلك إلى التحالف مع زعيما الثورة الملكان أنتلاس "Antalas" بالمزاق و كركزان "Caracasan" بطرابلس. وذلك لتشتمت القوات البيزنطية وإضعافها وقد واثته هذه الفرصة حين فقد البيزنطيون سيطرتهم العسكرية على الوضع بنوميديا وتبين له عجزهم الواضح عن إخماد الثورة بما حينما لجئوا إلى الاحتماء بقلاعهم ومدنهم

الحصنة وتحول جيشهم إلى مجرد حاميات عسكرية مرابطة بها اكتفت بمناوشة الثوار الموريين والحيلولة دون سقوط هذه التحصينات بأيديهم(72). ويبدو أن الملك إبيداس هو من كان المحرض على هذه الهجمات و المخطط لها انطلاقا من ملحقته بموريطنيا تمهيدا لعودته لمملكته.

عقد إبيداس مع غونثارييس « Guntharis » زعيم الجنود المتمردين في الجيش البيزنطي اتفاقا يساعده بموجبه على تسلم الحكم في قرطاجة مقابل السماح له بالعودة إلى أراضيه ومملكته. وفعلا تم له ذلك فعاد إلى موطنه بجبال الأوراس على رأس قوات كبيرة من الفرسان بعد خمس سنوات من اللجوء السياسي، وبسط سيطرته على شمال نوميديا رغم كل التدابير التي إتخذها البيزنطيون من قبل للحيلولة دون ذلك.(73)

أكثر من ذلك شدد إبيداس من هجماته على تحصينات الخط الدفاعي الأول الحاذي لشمال جبال الأوراس بغرض قطع الاتصال بين مختلف الحصون والقلاع المشكلة له لحصن حامياتها داخلها ومنعها من القيام بأي عمل عسكري ضده. وقد كانت هذه الوضعية تنذر بزوال الاحتلال البيزنطي نهائيا من نوميديا.(74)

عين جوهانوس تروقليتا في سنة 546 حاكما جديدا على شمال إفريقيا وقائدا أعلى للجيش البيزنطي وكلف بقمع الثورة بها، وقد عمد لدراسة الوضع العسكري جيدا قبل الإقدام على أي عمل عسكري. فوجد أن نوميديا برمتها واقعة تحت سيطرة إبيداس، وأنه من المخاطرة مهاجمته ومحاولة استعادة ما في يده لأن المجاهدة معه ستكون في غير صالحه وسيعرض جيشه للإبادة على يد خيالة الأوراس ، كما أن اعتصامه بمعقله الحصين سيجعل أية محاولة لحصاره غير مجدية وتحقيق الإنتصار عليه مستحيلا. لذلك نجد تروقليتا يحرص على ضمان حياده في الحرب المقبلة التي سيخوضها ضد أنتلاس ملك المزاك وحليفه كركزان ملك قبائل طرابلس. وقد تمكن تروقليتا « J. Troglita » من الوصول إلى اتفاق معه حصل بموجبه على وعد منه باتخاذ موقف الحياد أثناء حملته ضد أنتلاس « Antalas »، وهو موقف ضروري بالنسبة للبيزنطيين نظرا للمخطر الذي سيشكله إبيداس « Iabdas » على وضعيتهم العسكرية لو فكر في الثورة عليهم في تلك الظروف، إذ سيكونون مجبرين على تقسيم قواتهم على جبهتين و محاربة عدوين في وقت واحد مما سيضعفهم و يجعل قضائهم على ثورة الموريين أمرا صعبا إن لم يكن مستحيلا.(75)

يتجلى لنا مما تقدم أن مشاريع إبيداس لتوسيع حدود مملكته وثورته المتوقعة في أي وقت ، كان أكثر ما يخشاه البيزنطيون نظرا لقوته العسكرية ونفوذه السياسي الكبير لدى قبائل شمالي وجنوبي الأوراس والذي من شأنه إثارة متاعب حقيقية لهم. لذلك نجدهم يسارعون لمهادنته وطلب التحالف معه إثناء لثورته. (76)

ويدل تطور مجريات الأحداث بعد ذلك أن إبيداس ظل محافظا على موقفه المحايد و اكتفى بمراقبة تطور الأحداث دون التدخل فيها، الشيء الذي مكنهم من التفـرغ للقضاء على ثورة المقاطعات الأخرى ، لكن هذا الموقف لم يمنعه من التغاضي عن إلتهاق عدد كبير من فرسانه كمتطوعين بجيش أنطلاس بالمزاك وذلك كنوع من الضغط واستعراض للقوة أمام البيزنطيين.(77)

لم يرد في النصوص المعاصرة للأحداث ما يشير إلى أن البيزنطيين دخلوا في مواجهة مع مملكة الأوراس بعد تخلصهم من خطر الثورة المورية في المراق وطرابلس، بل ما يمكن إستخلاصه من كتاب الشاعر الإفريقي كوريبوس بخلاف ذلك تماما، إذ ذكر أن البيزنطيين عملوا على تقوية تحالفهم معه وتعزيز علاقتهم معه وأصبحوا يعاملونه معاملة الند للند. ولا أدل على ذلك من استعانتهم بقواته في حملة تروقليتا الثالثة في صيف سنة 548 بحيث أمدتهم باثني عشر ألف فارس بقيادة ابنه، مما مكّنهم من إنهاء الثورة كلياً. (78)

وحتى عندما قوي مركزهم العسكري ظل البيزنطيون حريصين على عدم التعرض لهذه المملكة متمسكين بالمحافظة على علاقات حسنة معها رغم أن سياسة التحالف هذه التي كانوا يتبعونها معه كانت تكلفهم أموالاً ضخمة من النقود الذهبية والفضية، وهو ما سبب عجزاً مالياً للخزينة البيزنطية زادت حدته مع مرور الأيام وجعل الاستمرار في هذه السياسة أمراً صعباً، وهو ما وثقه لشاعر كوريبوس الذي وصف إبيداس بأنه أقوى ملك على جبال الأوراس. وقد استمر وجود هذه المملكة إلى غاية سنة 548 حسب معطيات المصادر. (79)

#### 7/ مملكة الأوراس بعد القرن السادس:

لقد اختلفت ذكر هذه المملكة من المصادر بعد منتصف القرن السادس الميلادي بنفس الصورة المفاجئة التي ظهرت فيها في مطلعها، فلا نجد في الكتابات التي تناولت تاريخ بلاد المغرب حتى نهاية هذا القرن أية إشارة إليها مهما صغرت. وقد تركزت المعلومات القليلة والغامضة التي تضمنتها بعض المصادر البيزنطية مثل « تاريخ ثيوفانيس » حول الصراع الموري البيزنطي بموريطانيا القيصرية فقط وكأن نوميديا سقط ذكرها نهائياً من بال الكتاب.

إن هذا الشح المعلوماتي للنصوص يقابله أيضاً غياب المستندات الأثرية التي يمكنها أن تساعدنا على تتبع آثار مملكة الأوراس. ويبدو أنه علينا انتظار منتصف القرن السابع الميلادي والفتوحات الإسلامية ببلاد المغرب حتى تظهر هذه المملكة في نفس نطاقها الجغرافي لكن بثوب جديد.

يجب أن ننبه أولاً إلى مسألة مهمة وهي أن سقوط أخبار هذه المملكة من كتابات المؤلفين المعاصرين لا يمنع من القول بأنها استمرت ككيان سياسي بعد ذلك. وبالنظر إلى أن المصادر الرومانية والإغريقية لا تفيدنا في شيء فيما يخص هذه النقطة، فإن اللجوء إلى المصادر الإسلامية ممثلة في روايات الفتح الإسلامي أمر ضروري لاستكمال الفراغ المعلوماتي المتعلق بها. ولأن هذه المصادر تحمل الكثير من المعطيات السياسية عن وضعية إفريقيا الشمالية في نهاية العهد البيزنطي .

ذكر ابن الأثير أنه عند تولية حسان بن النعمان الغساني إفريقية سألهم أن يدلوه عن: «أعظم من بقي من ملوك إفريقية. فدلوه على امرأة تملك البربر تعرف بالكاهنة». (80)

و في رواية أخرى أنهم: « دلوه على امرأة بجبال الأوراس يقال لها الكاهنة وجميع من بإفريقية من الروم منها خائفون وجميع البربر لها مطيعون، فان قتلتها دان لك المغرب كله ولم يبق لك ضد ومعاند(81).» وعند ابن عذاري: « أنه كان جميع من بها — إفريقية — منها خائفون والروم لها مطيعون. وإن قتلتها يئس البربر والروم بعدها أن يكون لهم ملجأ حتى يلقوا بأيديهم في يدك.» (82)

إن هذه النصوص الصريحة التي سقناها توضح لنا وجود مملكة بجبال الأوراس على رأسها امرأة تدعى الكاهنة انقاد لها كل البربر — الموريون — والروم — البيزنطيون —. وهذه النصوص فيها بعض المبالغة حول امتداد هذه المملكة حيث توهم بأنها شملت المغرب كله وأنها كانت مرهوبة الجانب في كافة أنحاء البلاد.

غير أن هذا الرأي غير صحيح ولا تسنده الأدلة التاريخية، فابن خلدون يصف حال البربر بعد استشهاد زهير بن قيس بقوله: « واضطربت إفريقية نارا وافترق البربر وتعدد سلطانهم في رؤسائهم. وكان من أعظمهم شأنًا يومئذ الكاهنة داهيا بنت ماتية بن تيفان ملكة جبل أوراس وقومها من جراوة ملوك البتر وزعمائهم.

فنص ابن خلدون صريح في أن سلطة المملكة لم تتجاوز هذه الجبال وأنها كانت على قبيلة جراوة دون سائر البلاد. على أي أحد في هذا النص معلومة ثمينة وهي أن قبيلة الكاهنة كانت لها الزعامة على سائر البربر البتر أي البدو وسكان الجبال منهم في تلك النواحي وأن الرئاسة كانت فيهم، وهو عين ما أشار إليه الكتاب القدامى ووضحته سابقا. بمعنى أن النظام السياسي لمملكة الأوراس التي استمرت إلى القرن السابع لم يتغير منذ عهد الملك إبيداس ولا تزال أقوى قبيلة هي التي تتولى الملك وتخضع لها القبائل الأخرى مع اختلاف في الأسماء.

وورد عند السلاوي أن: « الكاهنة كان لها ثلاثة أبناء ورثوا رئاسة قومهم عن أبيهم فاستبدت بهم وصارت رئاسة قبيلة جراوة لها. وقد ملكت البربر خمسا وثلاثين سنة. وزعامة البربر صارت إليها بعد كسيلة، إذ اجتمعوا إليها ونصرها منهم نفر غفير فيهم بنو يفرن ومن كان بإفريقية من قبائل زناتة وسائر البتر. » (83)

من هذه الرواية يتضح لنا أن الكاهنة كانت في أول أمرها زوجة لرئيس من قبيلة جراوة. وجراوة إحدى قبائل البتر المقيمين في الأوراس، ثم توفي عنها زوجها وخلف لها ابنان أوصى لهما برئاسة القبيلة من بعده. والظاهر أنها كانت مسموعة الكلمة في قومها مهيبة الجانب فاستطاعت أن تحفظ الملك لابنيها القاصرين.

ويذكر ابن عذاري أنه كان للكاهنة: «ابنان أحدهما بربري والآخر يوناني (84)». إنه إن سلمنا من خلال هذه الرواية أن الابن اليوناني للكاهنة كان نتيجة زواج تم مع أمير بيزنطي كما يرى بذلك الدكتور حسين مؤنس (85)، سيتبين لنا أن هذه المملكة حافظت على صلات الصداقة والتحالف مع البيزنطيين التي أرسى أسسها الملك إبيداس، وأنها صارت وثيقة تسمح بالمصاهرة والنسب.

لقد تعاضمت سطوة هذه المملكة وقوتها كثيرا، إذ يظهر من سياق الأحداث السياسية والعسكرية أيام الفتح الإسلامي أن القيادة العليا للقوات البربرية والبيزنطية المتحالفة ضد العرب المسلمين كانت بيد الكاهنة، وأن البيزنطيين كانوا مجرد قوات مساعدة تحت تصرفها، وأن قتلها سيؤدي لإهتزاز مقاومتهم واستسلامهم.

هناك نظرية تقدم بها أحد الباحثين مفادها أن القوى القبلية القديمة التي تشكلت على أساسها الممالك المورية استمرت في الوجود حتى القرن السابع الميلادي لتظهر من جديد مجسدة في قبائل تحت مسميات بربرية. فزعماء قبيلة مغراوة البربرية مثلا خلفوا ملوك مملكة ألتافا في حكم غرب القيصرية

—المغرب الأوسط —، وملوك قبيلة أوربة لم يرثوا عن أسرة أورتياس الملكية الملك فحسب، بل ورثوا عنها أيضا جل المنطقة التي كانت تتربع عليها والممتدة جنوب غرب نوميديا والنزاب والخصنة وهي أراضي مملكة الخصنة القديمة، وهي نفس الأراضي التي امتدت عليها مضارب قبيلة أوربة في عهد كسيلة بن لمزم الأوري زعيم البربر البرانس المتحالفين مع الروم البيزنطيون. (86)

وأنا اعتبارا من هذا المنطلق أميل لتبني هذا الرأي وأعتقد أن قبيلة جراوة هي الأخرى انتقلت إليها سلطة الحكم بالمملكة بطريقة ما إما وراثية أو تداولاً عن عائلة الملك إيبداش أو أسرة أو أسر أخرى أعقبتها في الحكم، وذلك وفق نظرية التداول على السلطة عند الموريين.

لقد درج الباحثون الفرنسيون من أمثال، فورنيل، كوديل وميرسي على أن يصوروا الكاهنة على أنها خلفت كسيلة في مقاومة الفتح الإسلامي بعد مقتله، وأنها قادت ثورة وطنية شاملة انضوى تحت لوائها جميع البربر (87). غير أن هذا في الواقع تحجى على الحقائق، فثورة الكاهنة هي ثورة ملكة يهودية\*، احتفظت بملكيتها ببقايا من الحضارة القديمة وطال عهدها بالاستقلال لضعف الحكام البيزنطيين وعجزهم عن إخضاع البتر في الصحراء والهضاب. والراجح أن هذه المرأة لم ترفع راية الثورة إلا حين تسامعت بمسير المسلمين إليها، فأخذت تستعد للقائهم وردهم عن بلادها. (88)

ولم يكد حسان بن النعمان يقترب من معقلها بالأوراس حتى رحلت من الجبل في عدد لا يحصى ولا يدرك وحطت رحالها عند باغاية عند سفح الأوراس، وسار حسان فالتقوا على نهر نيني، ونتج عنها هزيمة المسلمين وانسحابهم من الأوراس. (89)

ورغم محاولة كوديل أن ينسب إلى الكاهنة محاولة تأسيس امبراطورية وتوسيع مملكته خارج جبال الأوراس، شجعها على ذلك ضعف البيزنطيين وانتصارها على المسلمين في واقعة العذارى وإخراجها لهم من إفريقية إلى برقة. (90)

لكن هذا الرأي بجانب للمصوب فما فعلته الكاهنة بعد انتصارها على حسان لا يؤيد ذلك مطلقا، فهي لم تستولي على القيروان كما فعل كسيلة بعد مقتل عقبة بن نافع وهو الذي كان يسعى للملك على عموم المغرب. بل عادت أدراجها إلى موطن ملكها بالأوراس بعد سسأن اطمأنت إلى زوال التهديد الإسلامي لمملكته وهو كل ما كانت تسعى إليه. (91)

ويبدو أن أيام هذه المملكة انصرمت حينما: «ملك الكاهنة إفريقية كلها وأساءت السيرة في أهلها وعسفتهم وظلمتهم» (92)، لأنها أرادت أن تخضعهم جميعا لسلطتها وتجمعهم في جبهة واحدة لمواجهة هجوم المسلمين المقبل، والظاهر أنها اضطرت إلى استعمال الشدة في ذلك فنفروا منها وعم الاضطراب البلاد.

ثم ارتكبت خطأ آخر أفدح حينما عمدت إلى تخريب مدن المغرب وحواضره حتى لا يستولي عليها العرب، فانصرف عنها رعاياها روما وأفارقة وبربر إلى الاستنجاد بالعرب المسلمين. وعند المواجهة الثانية مع العرب المسلمين سرعان ما انهزمت جموعها وقتلت الكاهنة وانفرط عقد مملكة الأوراس إلى الأبد.



- <sup>18</sup> Boucher (J-P.) ,p179.
- <sup>19</sup> Chabassière(M.), pp113-168.;Mercier(E),Op.Cit., p151.
- <sup>20</sup> Ragot (W.) ,p224.
- <sup>21</sup> Lepelley (C.) ,Op.Cit., p142.
- <sup>22</sup> Decret (F),Fantar (M.), Op.Cit., pp343-46.
- <sup>23</sup> Procopius, Bell.Vand.,II,19,11-15. Janon (M), Op .Cit.,p349.; Procopius, Bell.Vand.,II, 4,26-28.
- <sup>24</sup> Procopius, Bell.Vand.,II,19,11-15. Janon (M), Op .Cit.,p349. Procopius, Bell.Vand.,II, 4,26-28.
- <sup>25</sup> Procopius. Bell. Vand., II ,12,4-12; II,12,17-29.
- <sup>26</sup> Procopius. Bell. Vand., II , 13, 1-2 ; II, 13, 3-17.
- <sup>27</sup> Ibid.,II,13,18-20.
- <sup>28</sup> Toussaint (M), «Etude du réseau routier et ses principales ruines de la région de khamissa, Mdaourouch, Tifech, Ksar Sbehi », B.C.T.H.S, 1897, p 265.
- <sup>29</sup> Procopius. Bell. Vand., II, 13, 21 ; II, 13, 30.
- <sup>30</sup> Ragot (W), op.cit., p 301n.1 ; Courtois (Ch), op.cit., pp 341-342.
- <sup>31</sup> Procope. Bell. Vand., II, 13, 31-34
- <sup>32</sup> Ibid., II, 13, 35-38.
- <sup>33</sup> Ibid.,II,13,35-38.
- <sup>34</sup> Diehl (Ch), op.cit., p 73 ; Toussaint (P), op.cit., pp 263-268.
- <sup>35\*</sup> تحمل نقوش التحصينات التي تعود لفترة حكم صولومون الأولى ( 536-534 ) عبارة حاكم إفريقية « Praefectus Africae »، في حين أن نقوش التحصينات الدفاعية التي شيدت خلال فترة حكمه الثانية ( 539-536 ) تحمل عبارة « Bis Praefectus Africae » أي حاكم إفريقية للمرة الثانية و تنتمي نقيشة سور تبسة (Théveste) للنوع الأول من النقوش و بالتالي تعود لفترة حكمه الأولى.
- <sup>36</sup> Diehl (Ch), op.cit., p 74 n 4 et 5.
- <sup>37</sup> C.I.L, VIII. , 1863= 16507 ; IRA, 3089 ; IL Alg, I, 3042, 3059.
- <sup>38</sup> Moll, « Mémoire historique et archéologique sur Tebessa (Théveste) et ses environs», R.S.A.C, 4, 1859-60, p 74.
- <sup>39</sup> Moll, « Mémoire historique et archéologique sur Tebessa (Théveste) et ses environs », R.S.A.C, 5, 1860-61, p 20.
- <sup>40</sup> Diehl (Ch), op.cit., pp 237-238.
- <sup>41</sup> C.I.L. VIII, 4677=16869 ; IL.Alg.I, 2114 ; IRA, 2923.
- <sup>42</sup> Diehl (Ch), op.cit., pp 286-287 ; Gsell (St), « Notes sur quelques forteresses antiques du département de Constantine», R.S.A.C, 42, 1898, pp 281-285.
- <sup>43</sup> Gsell (St), Graillot (H), «Ruines romaines au nord de l'Aurès »,M.E.F.R, 13, 1893, p473.
- <sup>44</sup> Procopius. Bell. Vand., II, 17, 12-19.
- <sup>45</sup> Procopius. Bell. Vand., II, 17,24-35.
- <sup>46</sup> Procopius. Bell. Vand., II, 18,1-9;II,19,1-2.
- <sup>47</sup> IRA, 3259.
- <sup>48</sup> C.J., I, 27, 1, 1-4 ; I, 27, 2, 4-8, d'après D'Avézac (M), Esquisse générale de l'Afrique, 2, Afrique ancienne, Paris, Firmin Didot, 1844, pp 244-246 ; Nouvelle, 30, 11, d'après Chastagnol (A), la fin du monde antique V<sup>eme</sup> et le début du VI<sup>eme</sup> siècles, Paris, Nouvelles éditions latines, 197 6, p 69.
- <sup>49</sup> Procope. Bell. Vand., II, 19, 6-7.
- <sup>50</sup> De Villefosse (H), op.cit., p 445.
- <sup>51</sup> Procopius. Bell. Vand., II, 19, 8-15.
- <sup>52</sup> Procopius. Bell. Vand., II, 19, 16.
- <sup>53</sup> Rinn (L), Géographie ancienne de l'Algérie. Expédition du général Solomon dans le Djebel Aourès 539 de J.C, Alger, Adolph Jordan, 1894, p 14.
- <sup>54</sup> Procope. Bell. Vand., II, 19, 17-18 ; II, 19, 19-20.
- <sup>55</sup> Rinn (L), op.cit., p 17. Procope. Bell. Vand., II, 19, 21-22.
- <sup>56</sup> Rinn (L), op.cit., pp 25-26
- <sup>57</sup> Procopius. Bell. Vand., II, 19, 23-29.
- <sup>58</sup> Rinn (L), op.cit., p 22.
- <sup>59</sup> Procope. Bell. Vand., II, 19, 30-32 ; II, 19, 1-5 .
- <sup>60</sup> Rinn (L), op.cit., pp 27-28.
- <sup>61</sup> Procope. Bell. Vand., II, 20, 10-21 .

- <sup>62</sup> Procopius. Bell. Vand., II, 20, 23-24 ; II, 20, 25-29 .
- <sup>63</sup> Poulle (A), « Ruines de Béchilga (ancienne Zabi) », R.Af, 5, 1861, p 202 ; Ragot (W), Op.Cit., p 307.
- <sup>64</sup> Rinn (L), op.cit., p 32.
- <sup>65</sup> Manguellone (J), « Monographie, historique, géographie de la tribu des Zibans », R.S.A.C, 44, 1901, p 233.
- <sup>66</sup> Diehl(Ch.), Op.Cit., pp90.
- <sup>67</sup> . ;II,22,20 II, 24,1-16, Procopius.Bell. Vand., II,21,24-28;
- <sup>68</sup> ,24,1-16..Ibid., II,21,24-28;II, 22,20
- <sup>69</sup> Procopius.Bell. Vand., II, 25,1-14
- <sup>70</sup> LeBeau , Histoire du bas-empire, 10, Paris, Firmin Didot, 1829, pp 93-95.
- <sup>71</sup> Diehl (Ch), op.cit., pp 366-368.
- <sup>72</sup> Le Beau , Op.Cit.,pp100-103 ; Fournel (H), Les Berbères, I, Paris, imprimerie nationale,1875,p102.
- <sup>73</sup> Diehl (Ch), op.cit., p 372.
- <sup>74</sup> Le Beau, op.cit., pp 114-115.
- <sup>75</sup> Corrippus ,Johannide. ,VI,278-279. ;Armand (P), « Un trésor de monnaies de Tiddis, inventaire et observation », R.S.A.C, 71, 1971, p 110.
- <sup>76</sup> ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج4، ص.143
- <sup>77</sup> ابن عذاري ، البيان المغرب في أخبار المغرب ، ج1، ص20 ؛ عبد الرحمن ابن عبد الحكم ، فتوح إفريقيا و الأندلس، تحقيق عبد الله أنيس الطباع، بيروت، دار الكتاب اللبناني، 1964، ص59. ؛ أبو عبيد الله البكري ، المغرب في ذكر بلاد إفريقية و المغرب، الجزائر، المطبعة الحكومية، 1857، ص74.
- <sup>78</sup> ابن الرقيق القيرواني ، تاريخ إفريقية و المغرب، تحقيق المنجي الكعبي، تونس، نشر رقيق السقطي، 1968، ص42.
- <sup>79</sup> عبد الرحمن ابن خلدون ، كتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أخبار العرب و العجم و البربر و من تبعهم من ذوي السلطات الأكبر، بيروت، دار الكتب العلمية، 1992، ج6، ص109.
- <sup>80</sup> السلاوي الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج1، الدار البيضاء، دار الكتاب، 1954، صص43-42.
- <sup>81</sup> ابن عذاري ، البيان المغرب في أخبار المغرب ، ج1، ص21.
- <sup>82</sup> حسين مؤنس، فتح العرب للمغرب، المكتبة الدينية ، بدون تاريخ، ص245.
- <sup>83</sup> Dahmani (S),« Pouvoirs tribaux autochtones dans le Maghreb central aux VI<sup>eme</sup> et VII<sup>eme</sup> siècle », B.C.T.H.S, 16b, 1986, pp 324-326. ; Caudel (M) , Les premières invasions Arabes dans l'Afrique du nord (21-78H /641-697J.C), Paris, Leroux, 1900,p13.
- <sup>84</sup> Fournel (H) , Op.Cit., p109.; Caudel (M) ,Les premières invasions, p13 ; Mercier(E) ,Op.Cit., p115.
- <sup>85</sup> Diehl (Ch) , Justinien et la civilisation Byzantine au VI<sup>eme</sup> Siècle, Paris, Leroux, 1901,p320.
- <sup>86</sup> حسين مؤنس ، المرجع السابق ، ص244.
- <sup>87</sup> ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج4 ، ص144؛ ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج1، صص20-21.
- <sup>88</sup> Caudel(M),Les premières invasions.,p160.
- <sup>89</sup> حسين مؤنس ، المرجع السابق ، ص249.
- <sup>90</sup> ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج4 ، ص143.
- <sup>91</sup> حسين مؤنس ، المرجع السابق ، ص260.
- <sup>92</sup> ابن عذاري ، البيان المغرب في أخبار المغرب ، ج6، ص21.